المقـاومة مصداقيتها، ولا «يساهم» كثيراً في حمل العدو على تغيير مواقفه او يدفعه نحو الاعتدال والواقعية؛ بل على العكس نحو مزيد من التصلب وكذلك ـ وهذا هو الاخطر ـ الاستخفاف بالمطالب الوطنية الفلسطينية، باعتبار ان اصحاب تلك المطالب ليس لديهم من قوة تدعمها، في عالم يبدو ان ليس فيه حق دون قوة.

شيء من الاصلاح، والثورة الهادئة

لعل قليلاً من التمعن في زوايا مثلث المقاومة ـ اسس تنظيمية وادارية مفككة، وتخطيط سياسي حالم، وإداء مقاومي بائس ـ يكفي لأن يقدم صورة واضحة لازمة حركة المقاومة، خاصة، وضعف الحـركة الوطنية الفلسطينية، عامة، ويفسر سبب انجازاتها القليلة، الهشة، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها والتضحيات المستمرة التي قدمتها. اذ عدا عما يمكن تسميته كيانية فلسطينية تمت بلورتها وابرازها، على الرغم من انها لا تزال سائلة، ليس هنالك من انجازات تذكر يمكن ان تضيفها الى رصيدها. وحتى هذه الكيانية ليست مؤمنة، وفي الجيب، اذ يمكن ان تُجمّد او تُعوَّم او تفرغ من مضمونها وتبقى مجرد حبر على ورق، او كلمات تقال وشعارات تطلق، دون ان يعني ذلك كثيراً على الارض.

والواضح ان مثل هذا التقييم هو السائد لدى دوائر الاعداء والخصوم والطامعين، فهو الذي يحرّكهم وعليه يبنون مواقفهم. فهؤلاء لم يسلِّموا حتى الآن بأبسط مفاهيم الحقوق للفلسطينيين: لا لحق تقرير المصير، ولا للدولة المستقلة، ولا حتى لحرية اختيار ممثليهم ولو من طريق انتخابات حرة. ولا تزال كافة المشاريع والمقترحات التي يتقدم بها هذا المعسكر بعيدة كثيراً عن اقل ما يستطيع ان يقبـل به اكثـر الوطنيـين الفلسـطينيين «اعتدالاً» و«واقعية». فأولئك، مثلاً، يتحدثون عن «كيان» فلسطيني، لا دولة، وعن ممثلين فلسطينيين، لا ممثلين للفلسطينيين، وعن حقوق لهم، لا حقوقهم، الخ. كما يظهر، بوضوح، انهم لا يزالون ينطلقون، في معظم مشاريع الحلول التي يطرحونها او يحبذونها، من قناعة مفادها انه بامكانهم القفز عن منظمة التحرير الفلسطينية، على ما يعنيه ذلك، او تحجيم دورها. والدوافع لهذه المواقف كامنة، بالطبع، في ما يراه هؤلاء من ضعف يسيطر على الحركة الوطنية الفلسطينية، بكافة امتداداتها واجهزتها، يبدو معه انه ليست هنالك ضرورة للاستجابة لطلباتها. وما دامت الاساليب الفلسطينية على ما هي عليه، سوف تبقى «الانجازات» على ما هي عليه ايضاً، وكذلك مواقف الاعـداء والخصـوم؛ ما لم تطرأ تغيـرات جذرية على العمل الفلسطيني برّمته تدفعه نحو مسارات صحيحة ومفيدة، بعد اصلاحه.

واذا وصلنا الى الاصلاح، على ارضية هذه الخلفية بأبعادها المختلفة، ولو كان المرء متسرعاً، لبات من الضروري الدعوة الى اعلان الثورة على «الثورة»، على ما يفترض ان يجرّه مثل هذا التوجه من مواقف وانشطة، بمختلف ابعادها. الا ان التجارب اثبتت، بالملموس وفي اكثر من حالة، ان ما من مرة حدث فيها ذلك،وان على نطاق ضيق، الا وكانت النتائج كارثية. ويكفينا «نماذج»، في هذا الصدد، تجربة سيء الصيت ابو نضال، مروراً بابو موسى وانتهاء بابو الزعيم. فهؤلاء الابوات الناشئين اضروا اكثـر ممـا افـادوا، في اكثـر من مجـال، وقدموا نماذج وامثلة حية على صحة القول: «خليك على قديمك...». بل انه ليس في هذه التجارب الا دليل آخر على ان الوضع الفلسطيني المقاومي، بكافة معطياته وابعاده، وقواه البشرية والفكرية، لا يستطيع ان يفرز ثورة «ارقى» من تلك التي عرفناها؛ بينما لا «يستحق» الوضع العربي اكثر من ذلك. ان «ثورة» كتلك التي تمتعنا، وما زلنا نتمتع، بنعمها حتى الآن، ومنـظمة تحرير فلسطينية كتلك التي عهدناها، بعجرها وبجرها، هما وحدهما القادرتان على